مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

النخاسة في كتاب مروج الذهب للمسعودي
دراسة في الاحوال الاجتماعية

م.م فاطمه عدنان زاير السعيدي
جامعة الحمدانية
محمد صالح سعيد الهاشمي
مدرس جامعي/دكتوراه في التاريخ الاسلامي
m.salih١٢٢@gmail.com
آمنة عباس فاضل ابو نايلة
مدرس جامعي /دكتوراه في اللغة العربية

مقدمة

في هذا التقديم البارع، وإن كان متواضعًا بعض الشيء، لكتابه الشهير "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، يظهر بوضوح أن المسعودي، المؤرخ والرحالة البغدادي المعروف الذي عاش في العصر العباسي الثاني، حاول أن يظهر تسامحه مع قرائه ونقاده، بطريقة تشبه ما يتبعه مؤلفو الكتب العلمية في عصرنا الحديث. كان يدرك قيمة كتابه ويقدرها حق قدرها، ولذلك نجده ينهي عن التصرف في مادة الكتاب بأي شكل من الأشكال، محذرًا من ذلك بقوله: "وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي وآخره ليكون رادعًا عن ميله هوى، أو غلبه شقاء، فليراقب الله ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير".

هذا ليس التجديد الوحيد الذي أدخله المسعودي إلى فن التأليف. ورغم أن ابن خلدون قد وجه له الكثير من الانتقادات في "المقدمة"، إلا أنه لم يفته أن يلقب المسعودي بـ"إمام المؤرخين". وكذلك فعل المستشرق فون كريمر لاحقًا، حيث لقبه بـ"هيرودوتس العرب"، مضيفًا أن أثر المسعودي أوسع بكثير من تأثير أبي التاريخ اليوناني، حتى وإن كان الأخير "أكثر فنًا وأفصح منهجية".

المهم في هذا كله هو الاعتراف بمكانة المسعودي في كتابة التاريخ، خاصة من خلال كتابه "مروج الذهب"، حتى وإن كتب العديد من الكتب الأخرى التي بقي بعضها وضاع البعض الآخر. ويعتبر باحثون كثر "مروج الذهب" الأساس في كتابات المسعودي، بل وفي تطور فن كتابة التاريخ بشكل عياني وميداني.

وفي هذا السياق، يجدر ذكر أن المفكر الفرنسي أرنست رينان وضع دراسة طويلة قارن فيها بين المسعودي والرحالة الجغرافي والمؤرخ اليوناني بوزانياس (القرن الثاني للميلاد) لما بينهما "من صلة وقربى في النهج والمساق". لكن المستشرق الفرنسي باربيه دي مينار يرى أن "من العسير التسليم بها". فالرحالة اليوناني كان فنانًا وشاعرًا متحمسًا للأساطير والخرافات اليونانية، في حين أن المسعودي كان مؤلفًا موسوعيًا، قد يكون أقل حماسة من بوزانياس، لكنه أكثر فضولًا علميًا واطلاعًا، جاعلاً العالم المعروف في عصره مجالًا لنشاطه ورحلاته. ورغم أن ذكرياته المتزاحمة قد تجعله يضل بعض الشيء، إلا أنه لم يكن أبداً فريسة لخياله الجامح. فهو مخلص في الحالين، وهو ما أشار إليه ابن خلدون عند حديثه عن المسعودي و"مروج الذهب".

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

أهمية

دراسة النخاسة في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي تحمل أهمية كبيرة على عدة مستويات:

١. فهم التاريخ الاجتماعي والاقتصادي:

توفر دراسة النخاسة في كتاب المسعودي فهماً عميقاً للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعصر العباسي الثاني. من خلال وصفه لتجارة الرقيق وأحوالهم المعيشية، يقدم المسعودي صورة شاملة عن التركيبة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة، مما يساعد في فهم العلاقات الاجتماعية والقوانين التي كانت تنظمها.

٢. البعد الإنساني:

تسليط الضوء على معاناة الرقيق وظروفهم القاسية يفتح الباب لمناقشة حقوق الإنسان في العصور الماضية. تعطي دراسة النخاسة من منظور المسعودي فرصة للتفكير في مدى تطور المفاهيم الإنسانية والحقوقية على مر العصور وكيف كانت تُعامل الفئات المستضعفة.

٣. النقد والتحليل:

من خلال تقديم وصف دقيق لتجارة الرقيق وأحوالهم، يقدم المسعودي نقداً ضمنياً للنظام الاجتماعي الذي يسمح بهذه الممارسات. دراسة هذا النقد تعطي الفرصة لفهم كيفية تعامل المجتمعات التاريخية مع المشكلات الأخلاقية والإنسانية.

الأهداف:

دراسة موضوع النخاسة في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي تحمل مجموعة من الأهداف التي تساهم في فهم أعمق للتاريخ والمجتمع، وهذه الأهداف تشمل:

١. التحليل التاريخي:

تحليل كيفية تأثير النخاسة على التركيبة الاجتماعية للعصر العباسي.

دراسة الأوضاع الحياتية للرقيق وأثرها على المجتمع بشكل عام.

٣. التحليل الاجتماعي والاقتصادي:

دراسة تأثير تجارة الرقيق على الاقتصاد العباسي وكيفية تشكيلها للطبقات الاجتماعية.

فهم العلاقات الاجتماعية بين الأحرار والرقيق وكيفية تعامل المجتمع مع هذه الفئة.

٤. المنظور النقدي:

تقديم نقد للنظام الاجتماعي الذي سمح بتجارة الرقيق وظروفهم القاسية.

مقارنة بين ممارسات النخاسة في العصور العباسية وما قبلها وبعدها.

مشكلة دراسة:

السؤال الرئيسي:

ما هي تأثيرات النخاسة على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي كما وردت في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي؟

الأسئلة الفرعية:

١. كيف وصف المسعودي في كتابه "مروج الذهب" الظروف المعيشية للرقيق ودورهم في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للعصر العباسي؟

٢. ما هي القوانين والتشريعات التي كانت تنظم تجارة الرقيق في العصر العباسي، وكيف تناولها المسعودي في كتابه؟

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

منهج دراسة

المنهج الوصفي التحليلي: وصف الظروف المعيشية للرقيق وتحليل وصف المسعودي لأحوال الرقيق وظروفهم المعيشية وأدوارهم المختلفة في المجتمع

دراسات سابقة

١. دراسة لدكتور بوغرارة وفاء، بعنوان: تجارة الرقيق في افريقيا من القرن ١٥م الى ١٩م، وتهدف الى: تسليط الضوء على أهم الأحداث التي شهدتها تجارة الرقيق في افريقيا، والكشف أيضا عن حقيقة تجارة الرقيق والأثار التي خلفتها على افريقيا، مع ذكر أهم العوامل التي ساعدت على قيام تجارة الرقيق.
٢. رسالة دكتوراه لسلاماني عبد القادر، بعنوان الاستعمار وظاهرة الرق في إفريقيا الغربية السنغال نموذجا ١٨٥٤-١٩٦٠ تناولت هذه الدراسة عمليات تجارة الرقيق والثورات التي قاموا بها في العالم الجديد.
٣. رسالة ماستر الحسني نورة، سليماني مريم، بعنوان الأوروبيون وتجارة الرقيق بغرب أفريقيا من القرن ١٥
٤. وانعكاساتها على إفريقيا أوروبا أمريكا، تناولت هذه الدراسة ظروف نشأة تجارة الرقيق وعوامل ازدهارها وتطورها والانعكاسات الناتجة عنها.
٥. رسالة ماستر الحسينة عياش حدة لعقاقنة بعنوان تجارة الرقيق عبر الأطلسي وتأثيرها السياسي والاقتصادي ما بين القرنين ١٥-١٩م تناولت هذه الدراسة بداية تجارة الرقيق عبر الأطلسي، وإلغائها وآثارها السياسية والاقتصادية على الجانبين الإفريقي والأوروبي.

خطة البحث

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر

المبحث الثاني: نبذه عن مؤلف الكتاب "المسعودي"

المبحث الثالث: تعريف أسواق النخاسة

الملخص

النخاسة، أو تجارة الرقيق، تشير إلى ممارسة شراء وبيع الأفراد المستعبدين، وكانت لها دور بارز في المجتمعات القديمة والوسيطة، بما في ذلك العصر العباسي. في هذا السياق، يتناول المسعودي في كتابه "مروج الذهب" الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالنخاسة.

تتمثل أهمية النخاسة في تأثيرها الكبير على التركيبة الاجتماعية، حيث كانت تُعزز من وجود طبقات اجتماعية مختلفة، وتؤثر على العلاقات الأسرية والاقتصادية. كما تناولت النخاسة الأبعاد الإنسانية، حيث عانت العديد من الفئات المستعبدة من ظروف قاسية وممارسات غير إنسانية.

قوانين النخاسة، رغم وجودها، لم تكن دائمًا فعالة في حماية حقوق الرقيق، مما أدى إلى استمرار المعاناة. يقدم المسعودي نقدًا ضمنيًا للنظام الاجتماعي الذي يسمح بهذه الممارسات، ويشير إلى التغيرات الثقافية والدينية التي طرأت على المجتمع.

بالتالي، تشكل النخاسة موضوعًا معقدًا يتطلب دراسة شاملة لفهم تأثيراتها على التاريخ والحقوق الإنسانية.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

Summary:
Slavery, or the trade of human beings, refers to the practice of buying and selling enslaved individuals, which played a prominent role in ancient and medieval societies, including the Abbasid era. In this context, al-Mas'udi discusses the social and economic conditions associated with slavery in his book "Meadows of Gold".
The significance of slavery lies in its substantial impact on social structure, as it reinforced the existence of different social classes and affected family and economic relationships. Additionally, slavery involved humanitarian dimensions, as many enslaved individuals suffered from harsh conditions and inhumane practices.
Despite the existence of laws regulating slavery, they were not always effective in protecting the rights of the enslaved, leading to ongoing suffering. Al-Mas'udi implicitly critiques the social system that allows such practices and notes the cultural and religious changes that occurred within society.
Thus, slavery constitutes a complex subject that requires comprehensive study to understand its effects on history and human rights.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر:

كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي هو أثر تاريخي يبدأ بسرد الخليقة وينتهي بعهد الخليفة العباسي المطيع لله في عام ٩٧٣. يُعَدُّ هذا الكتاب من أشهر مؤلفات المسعودي، حيث عرّفه به ابن تغري بردي ووصفه بـ "صاحب التاريخ المسمى بمروج الذهب"، مما يوضح ضياع كتابيه: "الأوسط" و"أخبار الزمان". ابن خلكان اعتمد على "مروج الذهب" في ١٩ مرة دون الرجوع إلى كتب أخرى للمسعودي، مشيراً إلى أهمية الكتاب على مر العصور.(مجموعة من المؤلفين، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٦، ص ١٥٣)

موضوع "مروج الذهب" هو تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى خلافة المطيع لله العباسي. تتسم فوائده بالكثرة، رغم صعوبة الوصول إليها بسبب ترتيب المسعودي للكتاب وفقاً للممالك والدول وليس على الترتيب الزمني، ومزجه بأخباره في رحلاته. المسعودي اختصر هذا الكتاب من كتابه "الأوسط"، والذي بدوره مختصر من كتابه الضخم "أخبار الزمان". أضاف المسعودي إلى "مروج الذهب" مواد ليست في "أخبار الزمان"، مما يبين التوسع والعمق في تقديم المعلومات. .(موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٦، ص ١٥٣)

بدأ المسعودي في تأليف الكتاب في البصرة سنة ٣٣٢هـ، وفرغ منه في جمادى الأولى ٣٣٦هـ، وراجعه سنة ٣٤٥هـ قبل وفاته بعام. الكتاب لم يُكتب حتى جاب المسعودي أرجاء العالم، حيث أودع فيه مشاهداته خلال رحلاته التي استمرت زهاء ٤٠ سنة. زار سواحل عمان، جزر قطر، بلاد فارس، ممالك قشمير والبلهرا، ماليزيا، برما، الصين، جزر المالديف، بلاد السودان والحبشة، مصر، تركيا وبلاد الشام.

نسخه ومخطوطاته:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وصلتنا العديد من المخطوطات للكتاب، وطبع لأول مرة في بولاق سنة ١٨٦٦م، ثم طبع مترجماً إلى الفرنسية سنة ١٨٧٢م بعناية باربييه ده مينار وپاڤيه ده كورتاي. في عام ١٩٦٥م، أعاد شارل بلا نشر الكتاب مع تعاليق علمية، مقسماً النص إلى ٣٦٦١ فقرة، استخدمها كأساس لفهرسة الكتاب. المسعودي استهل وختم الكتاب بتحذير شهير من التلاعب بمحتواه. .(موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٦، ص ١٥٣).

في الكتاب يظهر المسعودي ثقته بنفسه واعتزازه بجهوده العلمية والمغامرات التي خاضها، مؤكداً على تميز كتابه عن كتب من سبقوه. بيّن المسعودي أن كل جزء في الكتاب جُمِع بجهد وتعب عظيمين، مشيراً إلى أهمية تقدير العلم والأدب.

أراد المسعودي من قرائه أن يعوا قيمة جهوده العلمية ويصححوا أي أخطاء قد تكون نتجت عن النسخ. وفي هذا التقديم البارع، يظهر المسعودي تسامحه مع النقد وتقديره لكتاباته، مانعاً أي تلاعب في مادته التاريخية.(المرجع السابق: ص١٦٢)

على الرغم من الانتقادات التي وجهت للمسعودي، مثل تلك التي جاء بها ابن خلدون، إلا أن العديد من العلماء والمؤرخين، مثل المستشرق فون كريمر، اعتبروه "هيرودوتس العرب" لإسهاماته الواسعة في التاريخ. وبالمثل، قارن المفكر الفرنسي أرنست رينان بين المسعودي والرحالة الجغرافي والمؤرخ اليوناني بوزانياس، مشيراً إلى أن المسعودي كان أكثر موسوعية وفضولاً علميا

المبحث الثاني: نبذه عن مؤلف الكتاب "المسعودي":

المسعودي تميز بقدرته على كتابة التاريخ من خلال مشاهداته المباشرة ورحلاته الطويلة، مما جعله من أعظم مؤرخي عصره، وأثره ما زال قائماً في تطور فن كتابة التاريخ حتى اليوم.

كتاب "مروج الذهب" للمسعودي يُعد من أبرز المصنفات العربية وأكثرها تأثيراً في مجاله. يصف المسعودي محتوى هذا الكتاب قائلاً: "لقد تناولت فيه التاريخ وأخبار العالم وما مرّ من أحداث الزمان، شملت أخبار الأنبياء والملوك وسيرهم، والأمم ومساكنهم". وفي هذا السياق، يشير الدكتور علي حسني الخربوطلي، الذي ألف كتاباً معاصراً عن المسعودي وأعماله، إلى أن هذا الكتاب "قد لا يكون تاريخاً متصلاً بحلقات مترابطة، ولكنه يتألف من مجموعة من الأحداث والأخبار". وقد رتّب المسعودي هذه الأحداث ترتيباً موضوعياً، بحيث يمكن تقسيم الكتاب من الناحية الموضوعية إلى قسمين متميزين:

القسم الأول يتناول فيه المسعودي الخليقة وقصص الأنبياء، والبحار والأرضين وما فيها من العجائب، وتواريخ الأمم القديمة من الفرس واليونان والرومان والعرب القدماء، بما في ذلك أديانهم وعاداتهم ومذاهبهم، بالإضافة إلى الشهور والتقاويم. وينتهي هذا القسم بالحديث عن البعثة النبوية والدولة العربية الإسلامية منذ عهد الرسول حتى خلافة عثمان بن عفان.

أما القسم الثاني فيبدأ بخلافة علي بن أبي طالب، متناولاً بعدها الخلافة الأموية ثم العباسية حتى عهد الخليفة المطيع لله العباسي (سنة ٣٤٥هـ).(السبكي: ١٩٩٢م، ص ٤٥٦)

من الجدير بالذكر أن المسعودي في الباب الأول من كتابه يتحدث عن دافعه لتأليفه ويعرض مصادره ويقارن بينها. وفي الباب الثاني، يُفصّل أقسام كتابه وأبوابه، التي يبلغ عددها ١٣٢ باباً، قائلاً: "فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الأبواب، على أنه قد يأتي من كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الأخبار والآثار ما لم تأت عليه تراجم الأبواب". ويؤكد أهمية كتابه قائلاً: "ودللنا على كتابنا بالقليل على الكثير، وبالخبر اليسير على الجليل الخطير، وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره في الآخر إلا ما لا يسع تركه، ولم نجد بداً من إيراده لما دعت الضرورة إلى وضعه").(السبكي: ١٩٩٢م، ص ٤٦١)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

عرف الغرب المسعودي منذ القرن الثامن عشر، واكتسب سمعته العالية في أوروبا، خاصة بعد ترجمة "مروج الذهب". وقد أظهر هذا الكتاب فصولاً قائمة على مشاهدات عيانية في بلدان بعيدة وصل إليها المسعودي وأرخ لها، مثل الصين، حيث كان المسعودي من أوائل المسلمين الذين زاروها وجابوا مدنها. ومع ذلك، تميز بأسلوب منهجي علمي في تدوين أخبار رحلاته، مشدداً على عقد مقارنات مفيدة، مثل المقارنة بين أهالي الصين والعرب قبل الإسلام.

المبحث الثالث: تعريف أسواق النخاسة

أسواق النخاسة هي الأسواق التي تُعرض فيها العبيد من مختلف البلدان، بما في ذلك الذين تم اختطافهم أو أسرهم خلال الحروب. كان الأمراء والملوك يأتون من مناطق مختلفة لمعاينة هؤلاء العبيد كسلع تجارية لشرائها وبيعها. بعد الشراء، يصبح العبد ملكًا كاملًا للمشتري، وللملك أو الأمير الحق الكامل في التصرف فيه ومعاملته كما يشاء. في الجاهلية، كانت تُعرف هذه الأسواق باسم أسواق النخاسة.

بعد ظهور الإسلام، شهدت تجارة العبيد والرق انخفاضًا ملحوظًا، ورغم ذلك، لم تختفِ أسواق النخاسة تمامًا، بل أصبحت أقل انتشارًا في الجزيرة العربية بعد أن كرم القرآن الإنسان ومنحه الحرية. (ابن نديم: سير الاعلام، ص ١٧١)

انتشرت أسواق النخاسة في البلدان العربية قديمًا كواحدة من أبرز الأسواق، وهناك عدد من الأسواق التي اشتهرت عبر العصور. من بين أشهر هذه الأسواق كانت "دكّة العبيد" في السعودية القديمة، و"شارع دار الرقيق" في العراق، وسوق "تونس"، وسوق "باب زويلة" في مصر.

النخاسة هي تجارة الرقيق وبيعهم وشرائهم. لعبت هذه التجارة دوراً مهماً في العديد من المجتمعات عبر التاريخ، بما في ذلك في الدولة الإسلامية. كانت الأسواق تُقام في مناطق رئيسية وكانت تجارة الرقيق تشمل مجموعة متنوعة من الأعمال، من الأعمال الشاقة كالزراعة إلى الرعي والمهام المنزلية. تأثرت هذه التجارة بالعوامل الجغرافية والاقتصادية والسياسية، ولعبت دوراً كبيراً في الاقتصاد والمجتمع. ومن الأمثلة على ذلك، استخدام الرقيق في القتال والخدمات العسكرية، وكذلك في بناء المدن والقصور.(ابن انس، ١٩٧٩، ص ١٤٩)

لم تقتصر العبودية على ديانة أو حضارة أو بلد معين، بل انتشرت في مختلف الأديان ودول الشرق والغرب. كانت شائعة في الحضارات المصرية والسومرية واليونانية، بالإضافة إلى العديد من الدول الإفريقية والآسيوية، وكذلك في أوروبا وأمريكا. ومع ذلك، اتخذت العبودية أشكالًا واستخدامات مختلفة تختلف باختلاف الحضارة أو المجتمع. (معجم الأدباء، (١٣/ ٩١ – ٩٣)

يعود تاريخ العبودية وأسواق النخاسة في الحضارة السومرية (بلاد ما بين النهرين) إلى أكثر من ١٠,٠٠٠ سنة، حيث كان يُستخدم العبيد الذكور لتلبية احتياجات الأسياد من الأعمال الشاقة والحماية، بينما كانت النساء تُستخدم لتلبية الاحتياجات الجنسية.

في الحضارة الفرعونية القديمة، استُخدم العبيد في بناء القصور الملكية والصروح الكبرى، بينما اعتمدت حضارات بلاد الصين والرافدين على العبيد، سواء من الرجال أو النساء، في الأعمال المنزلية أو العسكرية وأعمال البناء. كما استخدمت حضارات المايا والإنكا والأزتك العبيد لأداء الأعمال الشاقة والمشاركة في الحروب بشكل واسع.

أما في الولايات المتحدة، فقد بدأ تاريخ العبودية وتجارة الرقيق عام ١٦١٩، عندما تم استقدام أول مجموعة من العبيد الأفارقة إلى المستوطنة الأمريكية الشمالية في جيمستاون، للعمل في مزارع التبغ، وهو أحد

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الأنشطة المربحة في ذلك الوقت. انتشرت تجارة العبيد بعد ذلك على نطاق واسع في المستوطنات الأمريكية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.. (ابن انس، ١٩٧٩، ص ١٥٣)

استمرت الثورات حتى أصبحت العبودية فعلًا غير قانوني، وكانت موريتانيا آخر بلد تخلص منها في عام ١٩٨١. وعلى الرغم من انتهاء العبودية بشكلها التقليدي، لا تزال تُمارس بأشكال أخرى، مثل العمل المنزلي أو الخدمة مقابل الدين.

توالت الثورات في مختلف أنحاء العالم على مر السنين لإنهاء هذه الظاهرة، مثل ثورة الزنج في العصر العباسي والثورة الدنماركية. (الهندي، ١٩٥٣، ص٧٥)

النخس والخزي

رغم كل العار الذي لحق بالعبيد الذين كانوا يُباعون كالدواب في أسواق النخاسة، حيث يتم نخس الذكور منهم مما يُفقدهم الشهوة والرغبة والقدرة على الإنجاب، فإن التاريخ العربي-الإسلامي يشير إلى أن النخاسة لعبوا دورًا كبيرًا في إدارة شؤون الدولة عبر العصور. فقد قادوا الجيوش وتولوا مناصب حساسة، وأسهموا في إبعاد بعض الأشخاص عن سدة الحكم وإيصال آخرين إليها. (الجاحظ، ١٩٦٤، ص٨٦)

في كتاب "مروج الذهب" للمؤرخ العربي المسعودي، تتناول النخاسة تجارة الرقيق بشكل شامل. يسلط الضوء على كيفية شراء الرقيق وبيعهم، مع ذكر أنواعهم وأعمالهم المختلفة. يوضح المسعودي أن النخاسة كانت تُمارس في الأسواق الكبرى، حيث كان الرقيق يُستخدمون في الأعمال الزراعية والرعوية والخدمية. كما يتطرق إلى دور النخاسة في تعزيز القوة الاقتصادية والسياسية للأنظمة الحاكمة، وتأثيرها على المجتمعات، مشيرًا إلى أن هذه التجارة كانت جزءًا من الحياة اليومية في العديد من الحضارات. .(المسعودي، ١٤٠٩ه، ج٤، ص ٣٦٥)

وقال المسعودي: وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين، وذلك أن أهل الصين يخصون كثيراً من أولادهم كفعل الروم بأولادهم، وما اجتمع عليه النخاسة من التضاد، وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو في كتابنا أخبار الزمان» وما أحدثته الطبيعة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات . (البهقي، ١٩٦٠، ص١٥١)

ما حرم الله عليه ؟ فاسترجع معاوية، وعلم أن الحق ما قالته، فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادماً، وإن كان كبيراً فانياً.(المسعودي، ١٤٠٩ه، ص ١٩٦)

وقد تكلم الناس فيهم، وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب، وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال، وهذا خَلَفٌ من الكلام، وفاسد من المقال، بل هم رجال، وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب إلحاقهم بما ذكروا، ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا، ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل الباري جل وعز، لأنه خَلَقَهم رجالًا [لا نساء، وذُكْرَاناً ، لا إناثاً، وليس في الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم، ويزيل خلق الباري جل وعز لهم]، وقد قلنا في علة عدم نتن الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا، لأن الخادم بطيء لا يوجد لآباطه رائحة، وهذا من فضائل الخدم.

وذكر المدائني أن معاوية بن أبي سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة . وكانت ذات عقل وحزم . ومعه نخس، وكانت مكشوفة الرأس، فلما رأت معه النخس غطت رأسها ، فقال لها معاوية : إنه نخس فقالت : يا أمير المؤمنين، أترى المثلة به أحلت له. (الخربوطلي، ١٩٥٩، ص٦٩)

لقد كان للنخاسة دور مهم في الحضارات القديمة، بدءًا من الفراعنة واليونانيين والرومان والفرس، وصولًا إلى التاريخ الإسلامي والأوروبي الوسيط، وحتى التاريخ الحديث في الشرق والغرب.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

تعددت أسباب نخس العبيد، منها توكيلهم بحراسة النساء وخدمتهن، مما يتطلب اختلاطهم بهن، أو لغرض تحسين الصوت وتجهيزهم للغناء، كما كان يحدث في إيطاليا في العصور الوسطى. أحيانًا، كان النخس يُفرض كعقوبة على الزناة وبعض المجرمين. (المسعودي، ١٤٠٩ه، ص ١٩٧)

برز استخدام النخاسة بشكل واضح في التاريخ الإسلامي خلال فترة الخلافة الأموية (٦٦١-٧٤٩)، حيث كان معاوية بن أبي سفيان (٦٦١-٦٨٠) أول من استخدمهم لحراسة النساء في القصر.

يرى بعض المؤرخين أن يزيد بن معاوية (٦٧٩-٦٨٢) هو أول من استخدم النخاسة لحراسة النساء أثناء توجه الجيوش للحرب، ثم منحهم مناصب حساسة، مثل منصب حاجب الديوان الذي تولاه نخس يدعى "فتح". (المسعودي، ١٤٠٩ه، ص ١٩٨)

ويذكر جلال الدين السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" أن حديث يزيد مع النخاسة كان أحد الأسباب التي أدت إلى خلع أهل المدينة المنورة له، إلى جانب العديد من الأفعال التي استنكرها الناس عليه.

بعد يزيد، زادت أعداد النخاسة في قصور الخلفاء الأمويين، حيث كان للخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧١٩) عدة نخاسة، منهم أبو أمية النخس ومنصور النخس ومرثد النخس. كما كان لمروان بن محمد (٧٣٨-٧٤٩) آخر خلفاء بني أمية مولى يُدعى سعد النخس. (السيف، ١٩٨٣، ص١٥٢)

في العصر العباسي، أنفق خلفاء بني العباس مبالغ كبيرة على النخاسة، وزينوهم بأجمل الثياب والحلي والجواهر، بل سمحوا لهم بالجلوس في مجالسهم ومرافقتهم في مواكبهم.

ويذكر ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" أن الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٨) كان عندما يسير موكبه يخرج معه ٤٠٠ نخس يحملون الأقواس المملوءة بالسهام، يرشقون من يعترض طريق الخليفة.

كما كان لبعض النخاسة دور في بناء وتأسيس المدن، مثلما حدث في عام ٧٨٧ عندما أُوكل إلى فرج النخس مهمة بناء مدينة طرسوس (حالياً في تركيا) خلال خلافة هارون الرشيد.

كان للخليفة الأمين (٨٠٧-٨١٣) علاقة مختلفة مع الغلمان، حيث يُروى أنه استخدمهم لإشباع رغباته الجنسية، وهو ما ذكره الطبري في "تاريخ الأمم والملوك"، حيث قال: "عندما ملك الأمين ابتاع النخاسة وغالى بهم، وصيّرهم لخلوته ورفض النساء والجواري".

ونقل كتاب "النخاسة والمترجلة" عن كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي أن فئة من النخاسة الخدم برزت خلال خلافة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله (٩٠٨-٩٣٢) وتولت مناصب مهمة في الجيش والحجابة.

ومن بين هؤلاء، كان القائد التركي مؤنس الخادم، الذي تميز بقدرته السياسية مما أتاح له التدرج في المناصب العسكرية حتى أصبح أحد القيادات الرئيسية في إدارة الشؤون العسكرية. ولّاه المقتدر دمشق، لكنه انقلب على الخليفة لاحقًا. (الزبيدي، ١٩٧٠، ص٣٩٥)

استمرت هيمنة النخاسة خلال الدولة الفاطمية، حيث تمتّعوا بنفوذ كبير داخل قصور الخلفاء وفي دوائر صنع القرار. كان الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٩٧٥-٩٩٦) يمتلك غلامًا أبيض نخسا يُدعى أبو الفتوح برجوان، وكلفه بإدارة قصوره، وكان يثق به ثقة كبيرة. وعندما اقترب أجله، أوصاه برعاية ابنه الحاكم بأمر الله، الذي تولى الخلافة في سن الحادية عشرة. تولّى برجوان إدارة الأمور وأصبح الوسيط بين الشعب والحاكم الجديد. (الذهبي، ١٩٨٨، ص٢٢١)

لكن برجوان تمرد على الحاكم بأمر الله واستحوذ على السلطة، وتعامل مع الخليفة بسخرية وعدم احترام، مما أدى إلى قتله بسكين على يد عدد من الخدم الذين تعاونوا في إنهاء حياته في بستانه، وفقًا لما ورد في كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" لتقي الدين المقريزي. (المسعودي، ١٤٠٩ه، ص ٢٠١)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

بسبب شجاعة العديد من الصقالبة (العبيد البيض) النخاسة وقوتهم البدنية، أصبحوا جزءًا من الحرس الخاص للأمراء الأندلسيين، وقادوا بعض الحملات العسكرية. تولى نصر النخس قيادة أسطول الأندلس في عام ٨٤٤ لمواجهة غارات النورمان على السواحل الأندلسية، حيث أبدى شجاعة فائقة، كما ورد في كتاب "الصقالبة النخاسة في الأندلس: عصري الإمارة والخلافة (١٨٣-٤٢٢ هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠)".

أسواق النخاسة في المشرق الإسلامي :

لقد كان لإسواق الرقيق أسواق خاصة في كل بلد من البلاد الإسلامية كانت تدعى أحيانا دار الرقيق ، كما كان في بغداد وكان عليها مشرف حكومي يعرف بإسم قيم الرقيق (الرفاعي، ١٩٧٣، ص٢٦٤)

تُعد الأسواق من المرافق الحيوية والضرورية، ولا تقتصر أهميتها على تبادل السلع والمنافع، بل تعكس أيضًا التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث يرتادها العامة والخاصة، الرجال والنساء. كانت هذه الأسواق تقام على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن أو داخل المدن.

تشهد بلاد الشام والعراق على سبيل المثال لا الحصر، انتشارًا واسعًا لأسواق الرقيق. أسهمت عدة عوامل في انتشار تجارة الرقيق ورواجها، منها الموقع الجغرافي للعراق، الذي يقع عند ملتقى طرق تجارة الشرق بالغرب. منذ القدم، كانت بغداد محط رحال العديد من القوافل التجارية، إذ تتوسط طرق التجارة البرية والبحرية الممتدة من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط.

كان للنخاسين شهرتهم وقوافلهم، حيث كانت النخاسة صنعة قائمة بذاتها تعني نخس الدابة وغيرها. يُقال إن النخس والنخاس هما بائع الدواب، وقد أُطلق على بائع الرقيق لقب النخاس، والأصل في هذا المصطلح يعود إلى بائع الدواب. (ابن منظور، د.ت)

أما فيما يخص أثمان الرقيق فقد كانت تختلف باختلاف جنسه و عمره و نوعه من ذكر أو أنثى و كثرته أو قلتها ، (الرفاعي، ١٩٧٣، صفحة (٢٦٧)

تكمن أهمية أسواق الرقيق أو النخاسة في الدولة الإسلامية في دورها الكبير وإسهامها البارز سواء في الجانب الاقتصادي أو في المجال العسكري. من أبرز إسهامات الرقيق على المستوى العسكري مشاركتهم في معركة مرج راهط (٦٤هـ/٦٨٣م)، التي أعادت الثقة إلى بني أمية، حيث لعب الرقيق دورًا فعّالًا في القتال. (ابن الأبار ، ١٩٦٢ ، صفحة (٢٧٣)، عندما ثار يزيد بن أبي النمس بأهل دمشق والرقيق فيها، سيطر على المدينة وأخرج عامل الضحاك منها، وبايع مروان بن الحكم، مما كان أول انتصار لبني أمية. ومع ظهور المخاطر، استخدم الأمويون كل الوسائل لإعادة الاستقرار، بما في ذلك استمالة الرقيق للقتال إلى جانبهم ومنحهم الحرية والعتق مقابل ذلك. كانت معركة مرج راهط، التي جرت في المناطق المحيطة بدمشق، من أشهر المعارك التي أعادت الثقة لبني أمية في أنفسهم وحكمهم. وقد ذكر مرج راهط في الشعر العربي، حيث كان يستخدم كناية عن المكان. (انظر ياقوت ابن منظور، د.ت. صفحة (١٠١)

كما فعل سليمان بن مسروح من البرابرة عندما نادى في الرقيق من إتبعني فهو حر فاجتمع إليه من الرقيق وغيرهم نحو من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل (ابن الخياط، ١٩٦٧ ، صفحة (٧٢)

مجلات نشاط رقيق أسواق النخاسة في الحركة الاقتصادية :

كما ذكرنا، يختلف الرقيق باختلاف جنسه وعمره وقابليته للعمل. وقد اشتهر كل نوع من الرقيق بمهام معينة؛ فالزنوج، على سبيل المثال، كانوا يعملون في أصعب الأعمال، وخاصة في مجال الزراعة كذلك (الرفاعي ١٩٧٣، صفحة (٢٦٨)

وكانوا يتحملون مسؤولية إحياء الأراضي الموات وزراعتها وغرس النخيل وحفر العيون لإيصال المياه إلى تلك الأراضي الزراعية التي استصلحوها وزرعوها. (ابن قتيبة، ١٩٦٩، صفحة ٣٢١)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

اسهامهم في مجال الرعي والزراعة :

كانت مهنة الرعي هي الغالبة في الجزيرة العربية ، وكانت من أهم المميزات التي ميزت سكانها ، وقد عمل بها حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون رسول الأمة (البخاري، ١٩٨٧، ج ٢، صفح٧٨٩) وتجلّت مساهمة الرقيق من أسواق النخاسة في مجال الرعي من خلال توفير العبيد لرعي الإبل والماشية، وهي من الأعمال المألوفة التي كانوا يقومون بها لخدمة أسيادهم. هذه الأعمال بطبيعتها لا تتطلب مهارة أو اختصاصًا أو ذكاءً. (ابراهيم وعلي ١٩٥٠، صفحة (٢٣).

وفي بعض مناطق شبه الجزيرة العربية، مثل اليمامة، كانت مساهمة الرقيق واضحة، حيث عمل رعاة من الزنوج الأعاجم الذين لم يكونوا يتحدثون العربية إلا قليلاً. (ابن بكار و القالي ١٩٧٢ ، د.ت الصفحات ٥١٧)

وقد كان يتم عتق الرقيق الرعاة عندما يلمس منهم أسيادهم مدى تقواهم و مواضبتهم على التعاليم الإسلامية (العسقلاني ١٣٢٨هـ، صفحة (٦٦٦) وكانت عملية الرعي تقع على عاتق الفئات المختلفة من الرقيق في الكثير من الأحيان (ابن الاثير ١٩٧٩م،ص١٢٠) وكان لأهل المدينة الكثير من الرعاة الرقيق يرعون لهم ثروتهم الحيوانية (ابن بكار جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ١٣٨١هـ، صفحة (٨٠).

ولم يقتصر الرعي على العبيد فقط، بل كان يُوكّل أيضًا إلى الإماء، اللواتي كن يقمن بعملية الرعي وحلب الأبقار والإبل وغيرها من المهام. (ابن انس، ١٩٧٩، صفحة (٣٩٧) من خلال المعطيات السابقة، نلاحظ أن الرقيق كان لهم دور فعّال في عملية الرعي. فقد كان بعض الرقيق الرعاة يتولون أمور أسيادهم في التجارة وبيع المواشي. (البيهقي،١٩٦٠ص ١٨٥).

الخاتمة

و في الأخير نتوصل إلى أن عصر الدولة الإسلامية العربية بصفة عامة والدولة الأموية خاصة كان بمثابة عصر ذهبي بالنسبة للرقيق وذلك لحسن المعاملة التي عوملوا بها ، وكثرة العتق الحاصل أنذاك ، ويعزى ذلك لقوة الاسلام وتغلغله في نفوس المسلمين الأوائل وسعيهم في نيل مرضاة الله الذي كان قدوة حسنة لهم في معاملة الرقيق واللطف بهم.

كما تم التوصل إلى جملة من الحقائق التي تتعلق بموضوع من خلال هذه الدراسة ويمكن إجمالها في النتائج الآتية:

إن أسواق النخاسة ساهمت بشكل متميز في تنشيط الحركة الاقتصادية في الدولة الأموية من خلال الإعتماد على الرقيق المجلوب ولا سيما في الزراعة والصنائع.

- الرقيق حالة اجتماعية قديمة وأن الإسلام لم يشرع وجود الرق الذي كان نظاماً دولياً متعارفاً عليه على مرور الزمن والأزمنة وحقب طويلة موغلة في القدم وكان يمارس من قبل الشعوب والأمم التي سبقت الإسلام بشكل كبير ونطاق واسع وملفت للنظر.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الترماني عبد السلام (١٩٧٨) الرق ماضيه وحاضره . الكويت عالم المعرفة .
٢. الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (دس) معجم البلدان. بيروت دار الكتاب العربي.
٣. العنان محمد عبد الله (١٩٦٢) . مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ط٤ . القاهرة. لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٤. الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين (١٩٥٣م). كنز العمال في سنن الاقوال والافعال الجزء الرابع .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الاربعون – كانون الاول ٢٠٢٤– جمادي الاخرة ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

٥. ابن الآبار أبو عبد الله القضاعي (١٩٦٢). الحلة السيراء . تحقيق: عبد الله أنيس الطباع بيروت . دار الاحرار.
٦. ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد أبي الحسن (١٩٧٠). أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق : محمد إبراهيم النجار وآخرون . القاهرة دار الشعب .
٧. ابن أنس ، مالك (١٩٧٩). الموطأ. تقديم : فاروق سعد . ط ١ . بيروت دار الآفاق الجديدة.
٨. ابن بكار ، الزبير (١٣٨١هـ). جمهرة نسب قريش وأخبارها تحقيق : محمود محمد شاكر القاهرة . مطبعة المدني .
٩. ابن بكار الزبير (١٩٧٢). الاخبار الموفقيات تحقيق : سامي مكي العاني بغداد .
١٠. ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٦٩) المعارف . تحقيق : ثروت عكاشة ط٢. القاهرة . دار المعارف .
١١. ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر . (١٩٨٩م). أخبار النساء بغداد مطابع دار الشؤون الثقافية العامة
١٢. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (دس) لسان العرب بيروت . دار لسان العرب
١٣. الاصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبدالله (١٩٦٧م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط ٢ . بيروت . دار الكتاب العربي .
١٤. الاصفهاني أبي الفرج . (١٩٨٦) الاغاني . ط ١ بيروت دار الكتب العلمية
١٥. البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (١٩٨٧) . صحيح البخاري. تحقيق : مصطفى أديب البغا ط ٣ . بيروت دار ابن كثير .
١٦. البيهقي ، ابراهيم بن محمد (١٩٦٠). المحاسن والمساوئ . بيروت . دار صادر
١٧. الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر . (١٩٦٤) . رسائل الجاحظ. تحقيق : عبد السلام هارون . مج ١. ج ٢. القاهرة
١٨. الخربوطلي علي حسين (١٩٥٩).). تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والاقتصادي القاهرة . دار المعارف
١٩. الدميري ، الشيخ كمال الدين (١٣٣٠هـ) حياة الحيوان الكبرى الجزء الأول. القاهرة مطبعة السعادة .
٢٠. الذهبي ابو عبد الله شمس الدين (١٩٨٨م) الذهبي الخلفاء الراشدون من تاريخ الاسلام ط ١ بيروت دار الكتب العلمية
٢١. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (١٩٧٧م) . تاريخ الرسل والملوك . الجزء الخامس تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم . القاهرة . دار المعارف
٢٢. الزبيدي محمد حسين الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، (١٩٧٠) القاهرة المطبعة العالمية
٢٣. السيف عبد الله محمد الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الاموي (١٩٨٣) الرياض.
٢٤. الصمد واضح . (١٩٨١) الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت
العسقلاني ، شهاب الدين ابي الفضل بن علي بن حجر (١٣٢٨هـ) الاصابة في تمييز الصحابة ط ١ . مطبعة السعادة القاهرة

ISSN–2536–0027

العلي ، صالح احمد . (١٩٦٩) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، بيروت: دار الطليعة
القالي ابو علي اسماعيل بن القاسم . (دس). ذيل الامالي والنوادر. بيروت دار الكتب العلمية.
٢٥. القرطبي ابو وليد محمد بن رشيد (١٩٩٦) بداية المجتهد ومهاية المقتصد القاهرة .
القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (١٩٦٠م).. آثار البلاد وأخبار العباد بيروت دار صادر
اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب . (١٩٧٣) تاريخ اليعقوبي تقديم محمد صادق النجف . المكتبة الحيدرية .
٢٦. اليوزبكي توفيق سلطان واحمد قاسم الجمعة . دراسات في الحضارة العربية الاسلامية (١٩٩٦). الموصل: دار الكتب.
٢٧. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ ه)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغر، دار الهجرة، قم، ج٤، ١٤٠٩ه.